سعيد عقل

قدموس

منشورات قدموس

بيروت

قدموس

مصدرة بخلاصة لبنانية

للمؤلف

بنت يفتاح	(مأساة)	سنة ١٩٣٥
المجدلية		سنة ١٩٣٧

سعيد عقل



مأساة

منشورات قدموس

الطبعة الاولى : ايار ١٩٤٤

إلى رفاقي القدامسة ،

إلى الذين اعتزموا ان يرقوا الى الحقيقة

ليكون لبنان وطناً للحقيقة .

خلاصة لبنانية

«سوف نبقى! يشاء أم لا يشاء الغيرُ؛
فاصمدْ، لبنان، ما بك وهْنُ!
سوف نبقى الا بدّ، في الارض، من حقّ؛
وما من حقٍّ ولم نبقَ نحنُ!»

لبنان وطنٌ للحقيقة[1] .

هكذا شاء ان يكون ؛ هكذا فليُعلن ، عهدَ تضجُّ خريطة العالم بانها كَين من أجلِّ أحداث التاريخ : اكتناه العقل ، والتوغّل في ماهيّة المادّة .

والواقعُ أنّ التاريخ — وهو الذاكرة العجيبة التي لا تأبه للتوافه — يُرجّح أن يَمسح من باله كلّ ما انتاب القرنين الأخيرين من ثورات وحروب وانقلابات ، فلا يبقي من نتاجهما الا على ذينك الحدثين اللذين يحصلان في خمسين سنة حولنا .

واذا كان نشاط البشر — اي تحقيق الانسان ذاتَه — راح يدور على الله ، والنفس ، والمادة ؛ وراح العقل ، رابعهم ، يكوّن الآلة المستخدَمة في ذلك النشاط ، فأيمِنْ بإعلان لبنان ملكوتاً للحقيقة آخر ، في النصف القرن المبارك الذي تُرسل الانسانية فيه نورًا على العقل والمادّة ، أي على اثنتين من ركائز الوجود الاربع .

❂

---

1) يلخص هذا البحث محاضراتٍ وخطباً القيت بين ١٩٣٥ و١٩٤٤

ما لبنان ؟ متى كان ولماذا ؟ وفيمَ يُعلن ؟

مرافق وجود لتجسيد الوعي ، راح يكون منذ ما راح العقل يعقل ، وقد استحال عليه ، لفيزيقيته ولميتافيزيقيته ، ان لا يستمرّ يحتكّ بالتقدّم . وهو يُعلَن ، لا لأنّه اليوم ضرورة اكثر مما كان في كلّ الأزمنة ، بل لأنّ وعيَ الذين يعونه اكتمل . والحقيقة تروح تعلن نفسها فورَ صيرورتها الحقيقة .

جماعةٌ من الناس تحيا على الساحل الشرقي من المتوسّط ، ضمن إطار فذّ لا هو تخومٌ اقليميّة ، ولا نسبٌ عِرقيّ ، ولا سَوِيٌّ نُطقِيّ ، ولا وحدةُ تاريخ أيّ تاريخ كان ؛ بل هو عجيج كدّ في السير صُعُدًا من غباوة المادّة الى وعي العقل . ما أمّتنا بأمّـة أخذًا بما تعارفت عليه السياسة منذ أن راحت تنحدر من أوج أشرف علم – علم تَعَهُّد الأناسي – الى «إنجاب» المكياڤليين . حتى اذا كان المقصود بالأمّة جماعةً من الناس نيّرة ، قادرة ، هادية ، فنجهر حينئذٍ بأنه إن لم يكنها لبنان بمطلق معنى ، فقد راح اكثر من كل بلد آخر يتّجه هذا الاتجاه .

أوّل ما يطالع المتعرّف بنا أنّنا شعبٌ نترصّنُ ، والمسكونةُ رعونة ؛ نرصف ذواتنا بالأسى ، والناسُ عويل ؛ نتطلّع الى الفكر ، والشعوب تحمُّسٌ لتاريخ وتشبُّثٌ بأرضٍ ، واجتماعٌ على مادّة ؛ نكبر على الجُلّى ، والامم أهتياجٌ وسَلُّ سيفٍ وحربٌ ؛ نغترب في فوق ، والآخرون في امام ؛ نتحفَّظُ في الوثبةِ قبل أستكمالِ الهداية ، والتقدّم على الاجمال جمحٌ من جزئيّ المعرفة — قوى كلها قوى صكّت الانسانَ على هذا الساحل اكثفَ ما أمكن انسانيّةً ، وهدرت في وَعيِهِ أنّه قشعريرةٌ في جسم الشرقِ ، وكلمةُ حقٍّ الى العالم .

لماذا نحنُ هذا؟ بأيِّ سلكةٍ تَمَرَّسنا على الزمن؟ أيُّ القِيَمِ يرِثُها اللبنانيّ منذ تنفتح عيناه على بادرةِ الأمِّ والأَب؟

وراء الفرد، عندنا، أربعٌ من البُؤَرِ العقليّة التي كان نشاطها، على الزمن، هو الحضارة. أربعُ بؤرٍ آيتُها، لا في انها ابتدعت وحسب، بل في انها راحت ايضاً تنفتح على زميلاتها الأُخَر في العالم، أخّاذةً منها، خلّاقة لها، وصّالة بين متقاطعها، فكانت قسماً مهماً من التراث العقلي الواحد الذي يرصف الخليقة المستعدّة: انساناً.

ما هذه البؤر الاربع؟ وما آيتها؟

وقفت البشرية مكتوفة اليدين عند اقليم يعطي، ولكن بمقدار؛ ومغاور تقي من هجيرٍ وقرّ، ولكن كلّاً في صوب؛ وخيراتٍ كل أمرئٍ بحاجة اليها جميعاً، ولكن كل مادّة من موادّها في جزيرة. — كان القدر سيّد الانسان.

ويبتدع مبتدعٌ آلةَ الحرث، يُرغِم الأَرض على عطاء فوق العطاء. ويوجد البناء بالحجر كأنما يجرّ المغاور، كلّاً من رأس جبل، بناصيتها، الى حيث تتجمع فتكوِّن المدينة، فالمجتمع، فالحضارة. ويدفع الى البحر بجذع ارز ينقل الى جزر في بحر الشمال مصنوعات لبنان، والى لبنان قصديرَ بحر الشمال، فيجعل الارض الغبيّة كأنما تعقل في توزيع الخير. — في ذلك اليوم اصبح الانسان هو سيّد القدر.

وعرف الناس الذئب، وحسب؛ والمحيّا الطلق، وحسب. فالمحسوس موضوع اشتغالات العقل لا يخضع لعقل العقل. — ليس إذَن عقل.

ويمضي ماض خطوةً في اكتناه الاشياء فيخلُص الى الشراسة من ذئابِ تسطو بولد ، ومن اوجه وسيمة الطلعة الى الجمال . — في ذلك اليوم يجرّد ، ويعود بوسعه ان يخلص من بضعة وعشرين حرفاً الى الوف الألوف من خواطر البال. ومن المضي في هذا الاتجاه يكون للبشرية ان تحلم بهندسة وفلسفة وعلم .

تحدّى الانسان القدر فكان السعي ، واكتنَه المحسوس فكان التجريد . وكان ذلك في صيدون .

وعبد الاولون آلهةً عدة . فالحقيقة عندهم غير واحدة . — لا حقيقة اذن .

اجل كان للبشرية الطفلة ان تتمتم بالوحدانية في مصر وفي بابل ، وكان لآثينا ان توجس تناقضاً بين جلبة الاولمب والحقيقة الواحدة . لكن القدس هي التي حملت همّ الوحدانية .

وفي القدس لاحت للأعين صفحةٌ اخرى دفعت بالعقل دفعة كانت من العجب بحيث لم يكن هو يحلم بها في التفاتاته ، صفحة سَكبت في الخليقة من تصرّف الخالق . المجتمع كالقبيلة سواء بسواء . القدرة على البقاء بنسبة القدرة على البغض . والبغض لا يجبل الّا ببغض، فالحرب محتومة أبدًا . حالةٌ شاهدُ عجزٍ في الفكر ، تناقضُ والتقدم الذي هو في طبيعة الانسان .

ويرتفع صوتٌ يشرعُ الحبّ سنّة في الناس، فترتجف من اسسها علاقاتُ البشر بعضهم ببعض ، ويضطرّون الى استنباط قواعد للعيش جديدة غير غزو المرء جاره ، وغير اتّخاذ ارضه مدى حيويًا . عندما يقول يسوع : « أَحِبَّ عدوَّك » ، تُبلَغ المحبةُ في تسوية العلائق بين الناس ، وتكون الكَونَويَّة . فمن الكَونَويَّة

أن ليس حلًّا لمعضلتك ما لا يراعي معضلة الآخرين ، ولا حلًّا لمسألةٍ ما لا يأبه لجميع المسائل .

ولم تكتفِ الصفحةُ النيّرة باطلاع الحق ، بل تروح تكشفه للعقول المنشرحة ، فنعرف ان الحقّ معرفة ، وان الحقّ قدرة ، وان الحقّ تجسُّد . ونعرف ان المعرفة لا تكون المعرفة بدون قدرة وتجسّد ، وهكذا القدرة بدون الآخرَين ، وكذلك التجسُّد . كان قد قيل : الحقُّ احد . فزادت : والأَحد ثالوث .

من الحب كانت الكونويّة ، ومن تثليث الحقّ الأحد شُيّئَ كلُّ شيء .
وكان ذلك النور في القدس .

وراودت خواطرَ البشر ، بين زمن وآخر ، فكَرٌ كبيرة ، لكنها كانت تهن على الزمن فتتلاشى . وعندما يُجعل للحق جسدٌ يكفل بقاءه في الناس ، يلمس العقلُ لمساً معنى هذه البداهة : كل كينونة لا تكون الا متى تجسَّدت .

بلغ الفكرُ من ذاته حدَّ الفعل ، صار الفكر هو الفعل . وكان ذلك في انطاكية .

وتَمَّ حَبَلُ العقل بعلم سياسة الناس : نَظَرٌ في الأَغارقة ، وتجربة عند الرومان . وراح الشرق يتوق الى يوم يتصل بتلك التجربة الفذّة .

ويحكم حاكمٌ قلبُهُ في همة حجازيّة قعساء حطّمت الوثن وهدت باسم الله الأحد ، وبالُهُ في بيئة شامية ربيبة التجربة الفذّة ، فيدشّن الشرق عهده بسياسة الناس بأمثل معنى عُرف من قبل ومن بعد . عندما يجعل معاوية الكبير دمشق قاعدة له تكون آلةُ حكم عجيبة ابداعُها انها عرفت مقادير التركيب ،

ويكون من تراثها الحكمي (الدمشقي حضارةً وتدبيرًا ، الدمشقي دماغاً وقيادة) فتحٌ عريض دقّ في الثلاث القارات بيارقَ راحت تظلّل المعرفة في حقبة من عمر العالم .

عقلٌ توطن لهبَ الايمان فهر عالم العصور الوسطى برجل الحكم . وكان ذلك في دمشق .

●

صيدون ، القدس ، أنطاكية ، دمشق ، بُؤر عقليّة أربع لا تنكفئ على ذاتها بل تروح تتحاكّ والعقل العالمي ، تخصبه ويخصبها . فمن صيدون تمضي جاليةٌ الى مصر تؤسّس أجمل احياء منفيس ، حيث تقوم حركة عقلية تكفل تنشئةَ موسى بطـل الوحدانية ؛ كما يمضي فتح الى بلاد اليونان يبني مدينة ثيبا ، مرضعة آثينا . واذا يشرق نجم روما النظام ، ربيبةِ آثينـا المنطق ، تؤثّر كل منهما في اثنتين من مدننا الاربع : عبرَ طرسوس تفعل آثينا في انطاكيـة ، وعبرَ بيزنطيـة وبيروت تفعَلُ روما في دمشق . ومن عصب دمشق تكون قرطبةُ الاندلس ، التي تروح عاصمة العالم الفكرية ، بين عامَي ثماني مئة وألف . وتكون انطاكية قد انتقلت جملة الى روما النظام تجعلها روما الروح . ومن هذه ومن تلك ومن آثينا تكون اوروبا الحديثة التي لا تنفك في القرنين الأخيرين تتّصل بها عبر باريس ، عاصمةِ العالم الروحية ومستودعِ الارث العقلي الواحد .

●

من صيدون الى دمشق ، مرًّا بالقدس ، فانطاكية ، فتشابكاتها بعواصم

العالم العقلية ، تراكمَ ارثٌ نيّر قدير هادر قد تكون غفلت عنه ، في زمن من الازمان ، مدنُ الخير الاربع التي اطلعته فتتركت انطاكية ، وتبدّت دمشق وصيدون ، وتصهينت القدس ، ولكن لبنان ما انفكّ على الزمن يحتضن ذلك الارث بحرص موفرًا له المضي في اتجاهه الذاتي الفذ ، مؤمناً له – لانفتاحه – لفتاتٍ وساعاً كالعالم صوب كل تقدم في العالم .

هذا هو الارث الذي يكوّن لبنان وذاتيته وثراءه العقلي ، ويحدّه بأنه « ما وراء » تخوم ونطق وعرق ووحدة تاريخ ايّ تاريخ كان .

إنه لمن ابداع لنا ذاتيّ ، ومن تفاعل بيننا وبين حوضنا العربي وحوضنا العالمي ، تروح رسالة لبنان في بنيه فعلَ تكشيف للانسانية في الانسان ، وفي العَرَب فعل حب وابداع ، وفي العالم فعل فهم واعطاء . فعلٌ متنوّع ولكنه ، على كل حال فعل ، وفعل لا يوقف .

لا يتنازل لبنان عن رعاية العقل ، وعلةُ وجوده الوحيدة أنه عقل ؛ ولا يستجيز لنفسه ان يبغض ، واجمل ما في تراثه انه حبّ ؛ ولا يقبل ان ينكفئ على ذاته ، واتجاه فعله هو انفتاح على العالم .

ويستحيل ان تُستغَلّ على لبنان نورانيّته هذه وحبه وانفتاحه ، وهي جميعاً حقّ ، والحق قدرة فوق كل قوّة .

سوف يكون لبنان ، بحكم إرثه ، هدياً لكل مستهدٍ ، ومدرسة حبّ لكل مبغض ، وسعةً لكل ابن حقّ ضاق به صغَرُ الارض .

سوف يكون البلدَ الوحيد — اذا اقتضى الامر — الذي يأمن العقلُ فيه ان يحكم على ايّ إله ولأيّ إله ، على ايّ انسان ولأيّ انسان ، على ايّ

عمل ولأيّ عمل ، وفي كل مسكن ، وفي كل شارع ، وفي كل ظرف .

سوف يكون له من تعدّد الشيَع والطوائف فيه نعمةُ تمرّسهِ برحابة الصدر، وشرفُ السبق الى التأليف بين الأشياء . به يتعلم اليهود كيف الاقلاع عن عنصرية ، ومنه تتلقن آسيا ، لا كيف استخدام الآلة ، بل كيف المساهمة في العلم الذي اوجد الآلة .

سوف يكون له ، من ذراعيه المفتوحتين لا تضيقان ، ركونٌ الى مفكري الغرب ، لا ليأخذ عنهم كيف يقاتـل الغرب ، بل ليضيف الى عقدهم قلباً كبيراً يقتلع البغض من الغرب . من هنا مرّهُ مرّ الكرام بخطر عليه موهوم، مدسوس على نبالة العدل والنور في عالم الغد . ومهما يكن من أمر فهو الموقن بأنه باقٍ ، لا بمشيئة من آخرين، بل لأنه يريد ان يبقى . وحقّه بالبقاء هو فعله امس واعتزامه للغد . فعل واعتزام يبرهنان على ان القومية ليست إثرة في ذات، وعصبية على جار ، وبغضاً لغريب ، بل مدماك متواضع في البناء الواحد .

من تراثٍ نيّر قدير هادٍ، عمرنا على كتف آسيا وطناً للحقيقة ، وجهرنا ، نحن بنيه ، في وجه الغرب ـــ ذاك المزيج من نور وحرب ـــ ان لنا اليه رسالة مهدّئةً من رعونته ، مخصبة من نشاطه ، مسدّدة من بصره الى ما وراء النفع ؛ رسالةً هدتنا اليها ستةُ آلاف سنة من الصبر ، والفكر ، وامتهان المادّة ، والكفران بالذات ، والتطلّع الى فوق ، والتريّث بالبادرة قبل وعي لكل ؛ رسالةً فذّة في العالم تخوّلنا لَبِنَة العالم .

نيسان ١٩٤٤

قدموس

لما اختطف زُوش ، كبيرُ الآلهة ، أورُب،
بنت ملك صيدون ، لحق بها قدموس إلى
بلاد الاغارقة يسترد اخته .

وفي البيوسى قتل تنيناً كان قد فتك باثنين
من رجاله ، وبأمر إلهة الحكمة بذر أضراسه
في الارض ، فأنبتت رجالًا شاكي السلاح
اقتتلوا إلّا خمسة اصبحوا فيما بعد نبلاء ثيبا ،
اولى مدن مئةٍ واحدى سوف يبنيها قدموس .

وأورب هي التي أعطت الغرب اسمها ، كما
اعطاه قدموس حروف الهجاء ، اداة المعرفة .

اسطورة اغريقية

الاشخاص

قَدموس
ابن الملك أشنَّار

أورُبَ
اخت قدموس وعروسة زوش

رِمرى
مرضع قدموس وأورب

الاعمى
عرّاف اغريقي

جوقات
من إلهات ، وبحّارة صيادنة ، ومقاتلة اغارقة

صخر موحش الكهوف من ساحل البيوسى في بلاد اليونان ،
في منتصف الألف الثاني ق. م.

الفصل الاول

المشهد الاول

أورب ، مِرّى

أورب

علّةُ الحـدْ ، يا سماء ، تجهّمـتِ ، تعلّين ، فـارأفي بالجراحِ !
لا تحرّي من هدنـة العمر ليلًا لا يحطّ التفاتـةً في صباحِ .

تجهش بالبكاء

مِرى

بضلوعي بكيتِ ، أورُبْ ، فاصحي .

أورب

آهِ ! لو عفتِني لوحدي ، وآهي !

مِرى

لا !

أورب

غضبى

تجرأتِ ! ؟

مِرى

معتذرة

انتِ بنتُ أشـنّار ، مليكي ، وزوجُ زُوشَ ، إلهي .
واذا أدّعي ، فـدعوى لِبانٍ رضعَتـه من مهجتي شفتاكِ .

أورب

متأثرة معتذرة

عفوَ كفّيكِ، يا مِرى، أنتِ، في الغُربــةِ، وجهٌ من عهد لبنانَ، حالكِ.
أنا، يومَ اعتلقتُ زوشَ، تخلّيــتُ عن الكرّ فوق شطآنِ صُورِ،
في كعاب الأتراب، يخضلُّ خصــري، دون شتى الحصور، بالبرفير؛
وتخليتُ — أين ضمّةُ أمي! — عن هوًى ما سواه لمعُ سَرابِ؛
عن أبٍ، سيّدِ الحواضر؛ عن زنــد شقيقي، قدموس، زينِ الشباب؛
عن قُرى من زمرّدٍ عــالقاتٍ في جِوار الغَمام، زرقِ الضياء،
يَتخطّينَ مسرحَ الشمس، يَرْكـــزن بلادي على حدود السماء.
كلُّ ما كان عِفْتُه! كل ما كـــان! وآثرتُ ضمّةً من حبيبٍ،
واذّكارًا كالطّلّ يُنعشُ نفسي، كلّما طوّقت يداكِ شحوبي.

تنيء الى صدر مِرى

انتِ حقّ أردته يحتوي عطــرَ بلادي جميعَه.

مِرى

أنا أدرى،

وتتذكر يومِ اختطفت واياها من لبنان

ملء عينيّ عنكِ لوحةُ حبّ، بلبلٌ جيّدٌ على البال كرّا:
مركب مُفلت من البحر، تيــاهٌ، يشقُّ الشَّرْبِينَ والسِنديانا،
تخِذَ الشكلَ عن فم الورد في البُرْعــم، والدّفقَ عن صَبا لُبنانا،
وتحلّى بالفلّ، والآس، والســوسن، من قمّة الى حَيزومِ،
في هُوَيناه مَسحُ ربٍّ على الأرض، وفي الهيزلى انفراطُ نجومِ.

ما لها تلّةً تقول لأخرى : « انا منه في موعدِ المشتاقِ ،
حلمت ضمّتي به ، منذ كان الحبّ في تربتي ، وفي اعراقي .»
وهو ساهٍ ، كأنما الصخرُ صخرٌ لا دعت هضبةٌ ، ولا حنَّ قاعُ ،
جدّ مجذافُه على سندس السفح ، وشالَ الصاري ، وطاع الشراعُ .
قلتِ : « يا ريح ، ها تراب بلادي هشّ للأخشُب الموات ، ورقّاً ؛
إحمليني غداً رسالةَ حبٍ من بلادي تفجّر الارض رفقا .»
واستفاقت ، في ضفة النهر ، طيرٌ وتغنّت ، وحنَ غصن وشوّقْ ؛
سُيّرَ المركبُ العليُّ ، ومُدّت منه كفّانِ تقطفانِكِ زنبق .
لم تشائي إلّايَ في موكب العرس ، ولم تجهشي على غيرِ بؤسي .
انا لم انسَ .

أورب

أيَّ أمرٍ حنونٍ كنتِ لي ، فانتحي ، معي ، ليل نفسي .

مِرى

أوَ تبكين ؟

أورب

والنزال ، مِرى ، والسيف أنّى يُصِبْ وجيعاً ، يصبني ؛
غبْنَ حسنٍ ما ارتاح الا لحسنٍ راح للهمّ والتباريح ، غبني .
ضقتُ ! لولا مزنجعٌ فوق جفني لم يجيّشْ أخي على الإغريقِ ؛
لم اكن فيهم عروسةَ زوش ؛ كنت حرباً !

مِرى

بل جذوةً من شروق :

جاء قَـدموسُ بالكتابة للغـرب ، وبالعلم للأواتي العصور ؛
وغدًا يعرفون أنّا ، على السفـن ، حملنا المدى الى المعمورِ .
ما تقولين لو تُسمّى بلادُ الغـرب أوربَّ !

أورب

لو تُسمّى بأسمي ! ؟

بيرى

أعجيبٌ ؟ ! ونحنُ أوّلُ من مـدّ لأرضٍ كفًّا ، وطرفًا لنجمٍ !

وبالفتة الى المغرب خاشعة ، تسميه باسم أورب

كُنْ ، يُها الصقع ، باسم أوربَّ ، أرض اليُمْنِ ، أرض النهى ، وأرض الجمال .
باركتكَ اليَدُ الأهَلّت على الجـدبِ عطاء ، فخلّت العطلَ حالي .
ألسّحتْ ، أوّلَ الزمان ، على خصـب بلادي بالغَيْثِ المحراثِ ،
آلـةِ الخير خلتُها تتحـدّى ان تضنَّ الدنى برزق بُغاثِ .
علّمت ، ويحها ، أنِ الفتحُ كلُّ الفتـح بالعمق ، لا بعرضٍ وطولِ ،
أنْ إذا تطرق السواعد باب الارض ، تغوى بـأنهر وسهول .
والأَذَلّت ـــ يا نُبلَها ، يدَ طـلّاع ، ويا بُعدَها بصائرَ غمضٍ ! —
عنفـوانَ المجهول بالزورق الأوّل يُلقي ارضاً على حضن ارض .
والأَسَلّت روحَ الخلوص من المحـسوس تحبو العقلَ الوليد شمولا ،
غربةٌ في العلاء ما برح الانسـان ، فيها ، يغالبُ المستحيلا ؛
فضلـةٌ عن خوانها الابجديّـاتُ ، وتأليفُ مستقيمٍ ودائرْ ،
وتداعي لحنٍ كأنْ كُوّرتْ دنيـا ، وقطفٌ للزهر طيَّ الضمائرْ .

أورب

هجتِني ، يا مِري ، فَخدّرتِ نفساً حُمّلَت ، لو دريتِ ، هَمّ الليالي .
فَكري ، فَكّري بقدموس في إثـري ، مثيرًا حفيظةَ الابطال ،
يتحدّى ، في عقر دارهم ، الإغريـقَ يأبى إلّا مَرَدّيَ عنوَهْ ،
يزرعُ الرُعبَ في البيوسي ، فيبلو بلوةً موطني الجديدَ فبلوهْ ،
ضجّ منه الإغريق ، ضجّ أولو الاولمـب ، فاستصرخوا له التِنّينا .
يوغِرُ البحرَ ؛ فالأواذيُّ في البحـر جبالٌ تكبُّ روعاً وهُونا .
مَزّقت من سفينِ قدموس ، من أبطاله مطمعاً ، وذلّت دونَهْ ،
فاذا زَنـدُه اشدُّ وامضى ، يومَ يلقى صدرًا لصدر قرينَه .
لا يُرى الصبحُ أو يخرّ قتيلًا واحدٌ منهما .

مِري

ومـا التنّينُ ؟
أفصِحي ، والتي وقتك بعينيهـا الأذى ، فيمَ سرُّه مكنونُ ؟
مَرّةً ، شئتِ ان تبوحي ، ففاضت شفةٌ منك خلف تصخاب آه !
أإلهـاً تُراه ؟ ام هو وحش ؟ ام هو الغيب أثقلته الدواهي؟!

أورب

أتراني أدري ؟

مِري

وما قال زوشُ ؟

أورب

قال عنـه : « آمرٌ من إنسان ،

مغلقٌ ، إن يَبِنْ فاظفارَ لَيثٍ وجناحي نسرٍ على أُفعوانِ ؛
ينفثُ النارَ من حديدِ لِسانٍ ، ويفتُّ الصخرَ الاصمَّ بنابهْ ،
إنْ يُنفِضْ جناحَهُ يَنتنِ الوردُ ، ويسودَّ زنبقٌ في شبابهْ ؛
او يُدِرِ طرفَه يصبّ هجيرًا في عليل الصَّبا ويجترّ نارا ؛
راح اعمى عن الخليقة يلتذُّ ، إنِ التذَّ ، جيفةً ودمارا.»
ذاك قِرنُ القدموس عند طلوع الصبح.

مِرى

أوربُ ، ما لصوتك هُدًا !
فيمَ تبكين ؟ فيم تخشَين تنين البيوسى يلقى الغريمَ الأشدّا ؟
أنا أدرى الملا بغضبة قدموس ، وجسمٍ من صخر لبنان قَدَّه ،
طال ما استشرفته ، في الأرز ، عيني ، يافعاً تفجر الفتوَّةُ زَنْدَه .
أجفل الليثُ دونه ، فتحدّاه رشيقاً ، وردّه مستذلّا ،
ضربةٌ منه لا تخيب ، فإن ينقضْ يبطشْ ، وإن يشأ يتسلّا .
صدرُه ، عارياً ، أحنُّ الى الكرّ ، وكفّاه ، عزليين ، أمرُّ .
يا له ، حين يطرح الخنجرَ الجهمَ ، ويجري ، فالجوُّ أغبرُ ، حَرُّ ،
يضرب الليثَ بالُجماع على اليأفوخ ضربَ الشبعان من ثَدْيِ أُمِّهْ ،
فإذا صُمَّ عفَّ عنه ، وإلّا اعمل الزندَ يحتويه بضمّهْ ،
سلّه من إهابه ، ورمى الارضَ بجثمانه يجرُّ ندوبَه ،
وتلوّى عليه يمزق شدقيه ، فينعى الى السباع نيوبَه !
يا احتضارَ الاسود ، يا طرب السفح ، لرؤيا تهوي به وتشيلُ ،

راح قدموسُ ينزل الرعبَ في الآجـــام ، فالأرز ، هازجٌ والنخيلُ ؛
وتخافين انت ، انْ يظفرَ التنـــين ؟

أورب

لو تدركينها ، مِرى ، أسرارا !

قَدَرٌ . . .

مِرى

بمَ تذرَّعَتْ ، بنتُ صيـــدون ؟

أورب

بما يقدِرُ الامورَ الكبارا .
بتُّ في امّة تؤلّههم كُثْرًا ، وتخشى ، عند الملمات ، واحدْ ،
ألمجلِّـــي عليهم ، ذلك الاعمـــى ، وليُّ المصير ، ربُّ الجلامِدْ .
قدرٌ إن يشأْ يغيّضْ ذرى الاولمـــب ، او يضربِ الحضيضَ بزوشا .
شاء أن يعلقَ الالهُ ابنةَ الأرضـــين : سهمٌ الى السماوات ريشا ،
أغضب الخالداتِ فاهتَجْنَ مني غيرةَ الحُسنِ ليس بالمعبـــود ،
وانبرت تـــدفع التحدّيَ هيرا ، زوجُ زوشٍ ، بوعدها والوعيد .
خاف زوشٌ عليَّ شرًّا ، فخلّى عنــد بابي ذيّالك التنّينا ،
قال : « من صلبهنّ يحميك وحش . فاطمئني ، ما لم يهن ، او فهونا . »

مِرى

بهلع

هو إن مات . . . ؟

أورب

متُّ .

ميرى

مشيحة عن هذه الخاطرة

لا قلتِ ! .

أورب

والآنَ ، الا تقدرينها الاقدارا ؟

ميرى

لا . وأبقى ابنةَ لصيدون ؛ هيأً أطلِعيه ، صيدونُ ، شهماً نهارا ،
هاتفاً عن يديكِ : « أنَا اولي السعـي ، ابيناه عـاجزًا يتحكّمْ ،
عماتـهُ خرافـةٌ ؛ أفترضى ان تروح الدنى رهائنَ ابكمْ ؟ ! »
كلُّ شيءٍ من تلكمُ اليد .

أورب

حقٌّ ، يا مرى ؟ يا مرى ، ادفعي الموت عني ،

وادفعي عن اخي .

ميرى

فديتُكِ ماذا ؟ أوَ جئنـاه في خُطى المطمئنِّ ،
وادّعينا أن قـدّر القدرُ الاعمـى ؟ أعزٌّ يشرى بـلا اثمانِ ؟
افتراشٌ زنـدَي إله وذكـرٌ في كتابِ العُلى ، وبالٌ هـاني ؟

أورب

أيّ عبءٍ حُمِلتُ يثقـل عيـنيّ ، ويطوي نفسي على الجرح طيّاً !
خلتُني نعمـةً تَفتَّتُ في الكـون ، فيغدو صدرًا لها وحَنيّا ،
في غـدٍ ملتقى شقيقي وحامـيّ : عُلى امتي ، وصوتُ شبابي !
وانا ، في توقّع الخطب ، غصٌّ من سراج ، وحفنةٌ من ضبابِ .

زهرةٌ لم تفقْ على الصبح إلّا هبّت الريحُ واستحرّ الهجيرُ ،
اتلعت جيدها فطيبٌ على طيـب ، وألوت فكل غصنٍ كسيرُ .
ما لِطيفِ الشحوب يسحب في الارض ، ويرخي الضنى على الارجاء !
غِمْ اسًى ، ايها الغروبُ ، فها نجمـك في افقـه محابِ مُراء .

مِيرى

بنتُ صيدون ، والفؤادُ اليفُ الـوهنِ؟!

أورب

مَن ذا ارى ، مِرى؟ العرّافُ!

مِيرى

يا لأعمى مرجّمٍ أبـدًا بالشـرّ . هيّا بنا .

أورب

وممَّ نخـاف ؟
مـا تقولين لو نطارحه الامـرَ ، وظنّي بـه رسولَ إلهِ ؟

مِيرى

ترّهات !

أورب

لا لا ، وإن يثنِ قدموسَ ، فلا حربَ ، بعدُ . . .

مِيرى

حقًّا ؟ . . تباهي
وتقولي : « قدموس أقسم ما برّ بعهد ؛ يرمونـهُ ليس يرمي . »
وتقـومي وتقعـدي لعظيمٍ صدّ صيدونَ مرّة عن عزمٍ !

المشهد الثاني

اورب ، الاعمى

الاعمى

دون مرمى يدي ، على ساحل الاغـــريق ، وجهٌ جَهْمُ الاسارير ، داجٍ ،
مـــترعٌ بالاسى ، يهوّم فيـــه جوعُ دنيا تنشقّ من امواجٍ ،
فيمَ عيناه تمرحـــان على الافــق ، وتستطلعان تُخماً تُخما ؟
ويدٌ في مجـــاهل الجوّ تمتـــدّ تفلّي نجماً ، وتقطف نجما ؟
ما شميمي خبَّ الغريبِ على الامـــس المدمّى ، وموكبُ الغد صاعدْ ؟
شبحٌ خـــانقٌ ، وآخرُ مذعـــور ، غنى بائد على قبر بائدْ .
في البيوسي الثكلى ، على حرم الإغـــريق ، اجلافُ أَجنبٍ تتراءى ؛
اين نار الاولمب تنهال لا تبقـــي ، وتمحو الحواضرَ الغنّاءَ ؟

أورب

واجفة ، وقد أوجست منه تعصباً على بلادها

بشراً كنتَ ام الهـــاً ، ترفّق ببقايا نفسٍ غريبـــةِ دارٍ ،
مرأة ملّت الجمال ، فراحت تنتهي في قوامهـــا المنهارِ ،
صارحتها حقيقةٌ حجرٌ يا ليتهـــا اليـــأس والحِمام الحبيب ،
نفحة مشرقيـــة من خزام ، غفلت في الضحى ، فكان الغروبُ !

الاعمى

أختُ قدموس ؟

أورب

من سواها لِهمِّ الارض ؟ !

الاعمى

قرّي على ابن صيدون بالا !

موعدي بالتقائـه الآنَ .

أورب

جودْ من دموعي، ومن دمي، الاقوالا ،

ضعْ على الصوت ، نبرةَ العسل الحلـو ، وضع رقّة القناة الغضوبِ ،

قسوةً في رضـى المحيا ، وليناً في التحدي، شأنَ الحبيبِ الحبيب .

وتجنّبْ جوّ القِلى وحرابَ الهـزء ، واضرب على الأحسّ الحنونِ ،

خذه من قلبه العطوف على الضعـف ، وخذه من كبره الصيدوني !

الاعمى

لم يعُد بالبعيد موعدُنا ، فامضـي .

أورب

تلفَّتْ وانظُر !

الاعمى

شاعرًا بعظم القادم من قولها له وهو اعمى : تلفّت

أجلْ .

أورب

قدموسُ !

الاعمى

اهربي ، ويكِ !

اورب

ماليَ اشتقته ، فاشتقت دنيـا في بردتين تميسُ !

الاعمى

أسرعي !

تخرج اورب

يا خطى سدًى جبّها اليـأس ، فابقت في صفحة الرمل وسْما ،
زبَـدُ البحر واقف منه بالمرصـاد ، والدهر منجلٌ ليس يعمى .
قَدَرٌ فوقنا .

المشهد الثالث

الاعمى ، قدموس

قدموس

مقـالةُ جبنٍ ! شأ تزلزلْ دنيا ، وشأ تبنِ دنيا .

الاعمى

خلِّ عنك الزهوّ ، قدموس ، لاح النجم ، فاحبس ، لا تستخفَّ الجنيا .
في تحدّي الخصمِ ازدراءٌ لجيل يرمز الوحش عنه ، والوحش ضارِ .

قدموس

انا من امّتي رسالـة نورٍ تتركُ الوحش غيرَ ذي اظفار .

الاعمى

حُدَّ من حدّة ، وصيدونُ انتم ، ما تمرّستمُ بقَرعِ الأَسِنَّة .

قدموس

صادقٌ أنت . ليست الحرب في صيــدون قصدًا مقصّدا او جِنّه ،
غير أنّا ، اذا نُضام ، نجيء المــوت شُمَّ الانوف ، حُمر الصدورِ .

الاعمى

تستخفّ الغريمَ ، قدموسُ ، لا زنــدك يقوى ، ولا حسامك يوري .
حربةُ الغرب ، حربة الغوب ، يا قــدموس ، فارأف بكبرياء الجراحِ .

قدموس

ما تكبرتُ : مَشرقُ الارض ساحي —أنا هديٌ— ومغرب الارض ساحي .

الاعمى

ما أذلَّ الغربيُّ امساً رفاقــاً لك ؟

قدموس

امساً . وارتدَّ عني كليلا ؛
ما على الشمس ، ما على عرشها الثبــتِ ، اذا الانجم انفرطنَ فلولا !

الاعمى

انتَ في غربة ، فرفقاً بصحب شُرَّدٍ ، دون موطنٍ في الغداة .

قدموس

نحن صيدونيّون ، موطننا الارضُ ، ونأبى اقلّ ساحَ الحياة !

الاعمى

البيوسى قفرٌ من الرمل جدب ، لا نبات في صخرها ، لا مدائن .

قدموس

نحن غير الغزاة ؛ ننزلُ قفرًا فنخلّيــه انهرًا وجنــائن ،
نزرع المدْنَ ، نزرع الفكرَ في الارض ، ونمضي في الفاتحين مثالا ؛

وغدًا تعرف الحضارةُ في صيــدون أُمًّا ، فتنحني اجلالا !

الاعمى

ابدًا لا تنون قرصان بحرٍ !

قدموس

تهمةٌ تستخفُّ بالشمس شانا ،

حبَّذا ، والضياء وَقفٌ على القرصـــان ، لو عادت الدنى قرصانا !

الاعمى

مهلَ قدموس ، قفرةٌ في البيوسى فوق صيدون رفعةَ والحواضر ،

فوق ما تدّعونَ من قبب شُـمّ وشُهب، ظواهر بظــواهر ؛

فاتّئِذْ .

قدموس

نحن في ظواهر ؟ نحن الـــكاتبو صفحة الحقيقــة شِعرا .

سفْنُنا الالف ما تني هيبة الاعصــر ، تفري المجهول بحرًا فبحرا .

عمَـرت جزْركم عمائرَ غنــاء ، وفضّت غنى ترَاكَمَ مناجم ،

في كريتَ النُحاسَ ، في قبرص الصبــغَ ، وفي رودسَ القلاعَ الجواثم .

واشرأَبّت الى جــزيرة تاسو تتمــلى نضارَهــا إبريزا ،

قل ! مَن الضاربون عبر الأَلِشبــون[1] يُغلّون في البحار الكنوزا ؟

يقحمون البُسفور ، حيث الصخــور السنبليات[2] جُوّع الغور، فُجّع ،

---

١) دردنيل الاقدمين

٢) اسم لصخور مخيفة كان الأقدمون يزعمون انهـا تنطبق على الذي يتوغل في البسفور . . .

مطبقات علـى المغامر ، يسحقـن ضلوعاً منه ، ويندفن مطمَعْ ؛
بسّل يمرحون في جسر اكسـين[1] ، على رحمة الرياح النواهمْ ،
لا يشدّون قبل عجرفة القوقـاز سفناً ، ولا يهون عزائم .
قل ! من النازلون قيثيرةَ بعدُ ، وايطاليا ، وجزراً ، وجزرا ،
يوقظون الدنيا على ضربة المعسول مستعمراً ، فتنهض سكرى ؟
سفنهم في الجنوب تهمي على النيـل اختراعاً ، وفكرة ، وصناعَهْ ،
فاذا الطرف جاب منفيسَ مصرٍ ، خلتَ لبنان مستقلًّا شراعه .
قل ! من الفاتحون افريقيا بكـراً يشيدون قمبةً في المغارب ؟
درة البحر ، قيل تصميم فتحٍ في غدٍ باسم قرطجنّة ضارب !

الأعمى

فاخر قدموسُ بفتح صيدون بحرَ المتوسط ، وقد أتمّتهُ في منتصف الألف الثاني ، أي في عصر قدموس ؛ ويتكلم الأعمى ،لغاية في النفس ،وهو عرّاف ، على فتح صور الذي حصل بعد ذلك العصر.

خلِّ ، قدموس ، عنك ؛ ما امس الّا ومضُ برق من ضجّة الغد نَذْرُ :
ستحرّون ، بعدُ ، جمجمةَ الارض ، فيرقى على يدين الفكرُ .
كل صرح ممرّد ، في ربى صيـدون ، رملٌ في شطّ صور طريحُ ،
تتركون البحـار خلف هواكم ، لا تكلّون ، او يكلّ الطموحُ .
آخرُ الابيض الرحيب مقيلُ السفـن من نزهةٍ لكمْ قراءَ ،
لا البليّار شافيـاتٌ غليلًا ، لا ولا غاليا الجميلةُ داءَ .
صفحةُ الارض حـدُّها الهرقليّـات[2] ، وتأبونه على الارض حدًّا ،

1) البحر الاسود
2) كان الاقدمون ، قبل الصوريين ، يعتقدون أن الارض تنتهي عند اعمدة هرقول ، جبل طارق اليوم .

فتفضّون في المحيط دنى بِكـراً ، لها رعشةُ العصور مَردّا .
تقحمون الايبيريا ، والقسيتيريـد[1] ، والجزر ، عبرَ بحر الشمالِ ،
وتغنّون ، حول افريقيا ، ملحمـةً من حقيقـةٍ وخيالِ .
عدَنٌ ارضكم ، وحرّانُ ، والهنـد قواديمُ سفنكم ، والصواري ؛
وتقولون بعـد : « صيدونيا الامّ ، وصيدونيا وراء البحار . »
منكمُ فارسُ الوغى يتحدّى امةً سوف تسترقُّ العوالمْ ،
تزحف القارتان خلف جبال الألـب ، في ركبه ، اذا استل صارم .
رومة دميةٌ له ، وربى ايطاليـا الخضر مَلعب لحصانـهْ ،
يكتب الفتحَ في مقدّمة الفتـح ، ويبقي للدهر فضلة شانِهْ .
سِفر حرب يقول ، يوم التنـادي :« لسنانٍ تتلمذ الفُوّادُ ،
كلُّ يومٍ مجحّلٍ ، بعد هنّيبعـل ، ومضٌ من سيفه جوّادُ . »
هو ، يا ابن الصيدونيا ، حظكم يومـاً ، تهزّون صفحةَ الارض هزّا !
وتقلّونها ، الى الشمس ، في مركـب ارز يهدي الى الشمس أرزا .
تقحمون المجهولَ من ساحة الفـكر ، وتلهون بالخفايا الاحاجي ،
كلّ شيء منكم وما انتمُ يومـا ؟ لأنتم ذكرى سنى في الدياجي .
مشدّدًا على هول النهاية بعد ذلك العزّ
ما لعيني ترى لكم قبة شهبـاء ، مخنوقةً بجيط مُعارِ ،
أجفلتْ دونها الجبالُ ، ويكفيهـا ، لِتنهدَّ ، لفتـةُ الاقدارِ .
فأشفَ قدموسُ ، من طموحك .

---

1) شمالي انكلترا

قدموس

ما قلتَ ؟ واختي ؟ وموعدي بالنزال ؟

الاعمى

دون امنيَّتيــكَ هولٌ .

قدموس

واذلالُ شراعي ، امساً ، ورَغمُ رجالي ؟

الاعمى

المقاديرُ او طموحُك ، يا قدمــوس.

قدموس

لا شيءَ في طريق الطموح .

قلتَ أَنَّا سنقتحمُ البحرَ والــبرَّ ، نجرُّ الفتوحَ تِلْوَ الفتوحِ ،

ومن الموطن الصغير ، نزود الارض ، نذري ، في كل شطٍّ ، قُرانا .

نتحدَّى الدنيــا : شعوباً وامصــارًا ، ونبني — أَنَّى نَشأُ — لبنانا ؛

وترّجي مني ، أنا ، الجبنةَ الاولى ؟ ترّجي مني ، انا ، الانهزامــا ؟

ما يقول الغدُ المحجّلُ عن قدمــوس ، يومَ الدنيا لنا ، اعلاما ؟

يومَ تجني صيدونيا الزرقةَ الرحبــةَ : مجدًا ، وثروةً ، وحضارَهْ ،

ويرى الفتحَ فتحَهُ كلُّ قبرٍ فوق لبنان ، والبحارَ بحــاره !

البحارة الصيادنة

من الداخل

غرّبي ، يا بحــارْ ،

شرّدًا بالأمــل الغضِّ ،

وأغرسي ، في آخر الارضِ ،

كرمةً لي ، ودار !

قدموس

هم رجالي ، وبعضُ عزم وراء النحر .

الاعمى

لا طبتَ ، سيفَ صيدونَ ، بالا !

مهددًا منذرًا

يطلع الفجرُ في غدٍ بومةً تنعــق !

يخرج

قدموس

يومٌ ! ما هَزَّ يومٌ جبالا !

البحّارة الصيادنة

من الداخل

طَيّــعٌ مركبي ،
يقهر الغــلّابةَ الأمواجْ ؛
يحفرُ التبرَ ، يصيدُ العاج ؛
في حمى المغرب !

بالُنــا ، والشَرَرْ ،
هَدْيُنا ، واللفتةُ العليــا ،
نحن جئنا بها الدنيــا ،
فوقَ جذعَيْ شجرْ !

ستــار

الفصل الثاني

المشهد الاول

اورب ، الاعمى

الاعمى

أقصِري في النحيب ، لم يبقَ إلّا أن تَرَيْهِ .

اورب

أنا ! ؟

الاعمى

نَصحتُ وجيعًا .

وإذا السهمُ كان آخرَ سهمٍ . . .

اورب

كان ، يا قلبِ ، مرأةً ودموعا .

الاعمى

شئتِ طعناً عـلى الرجولة .

اورب

أنّى لي ، اذا شئتُ ، ان أَسُلَّ وأَضربْ ،

وأنا الظِفرُ قلّموه ، وقـالوا : « رُدَّ عن مشرقٍ ، وقاتِل لمغرب ! »

الاعمى

خالصُ النصح ما ابثّـك ، اوربُ .

اورب

وما النصحُ ؟ أنْ أُحطِّمَ حبّي ؟!

دُميةٌ صُغتُها من الحلُم الفـرد ، ورصَّعتُها بأطباق شُهبِ ،
عانَقَتْها أمنيّتي ، قبل ان همّـت بكونٍ ، وقبل بَوْح الخيالِ ،
كانت الشوقَ من ذراعي ، اذا مُـدَّت ، وكانت ، اذا هجستُ ، ببالي .
مَن مِنَ البُكْرِ الصبيّاتِ لم تحـلم بزوشٍ ، ولم تُعَلَّ على اسمِه ؟
تتنـاسى له المزاليجَ عمدًا ، خوفَ إن تعنفِ المزاليجُ تُدْمِه .
واذا صار لي انا — أنا وحـدي ! — جئتَ ترتدُّني الى قدموسا ؟
ظالمٌ انت !

الاعمى

مِن عروسٍ لزوشٍ أفأستـلُّ للشمات عروسـا ؟
استحثُّ الربّاتِ ، في غُرف الأولمبِ ، يهزأن بالغرام الفقيدِ ؟
يتمطّـين في الاسرّة والخـزّ ، وهزج الحلى ، وكدْس الورودِ !
« ايُّ ارض ، يقُلْنَ ، طفلةِ حـبٍّ ، جرّأتهُ على حمى الارباب ؟
أسعدت ، سكرةُ الهوى ، واستفاقت : يا تراباً اشواقه للـتراب !
قهقهاتٌ ! كيف الأسنَّةُ في الوقـع ، وكيف انتقاضةُ البنيانِ !
يفعل الهزء في الجبال .

اورب

لمن قلـتَ ؟ وهزئي أنا بنفسي براني .
شرّقي ، ايها الصَبا ، علَّ غصناً ، عند حصباءَ ، ما يزال وفيًّا ،

هجرته عصفورةٌ كان نجواهــا ، وكانتْ غرامَه العبقريّا ؛
ما شكا مرّةً سَقاماً ، ولا تمتم في مسمعِ الليالي بِعَتْبِ ،
وُجدتْ فاكتفى ؛ وما همّه كــانت لغصنٍ ام للحضيض الجدبِ !
آيةُ البــال حبُّه راح يعطي لا اُرتضى قبضةً ، ولا هو آثَرْ ،
يسأل الخيرَ ان يكونَ ؛ سواءٌ ناله المُجتديهِ او نال آخر !
موطني ذاكِ ، فاحمليه على العَتْــب ، اذا جئتِ موطني ذات يومٍ ،
يا صبا ، وانظريه لا زال يُضفي فوق جرحيْهِ بسمةً بذلَ لومِ .
هُزُؤٌ بي ، وصافحٌ موطني عــني ؟ لأيٍّ النبال اوجعُ وقعاً ؟!
لا مَرَدٌّ !

الاعمى

الّا التقــاؤكِ قدمــوسَ تقولين : «عد بنا ! ضقتُ ذرعا !
لا انا في الجبال اهلٌ باولمــبٍ ، ولا انت في الوغى نِدَّ زوشا .»

اورب

قلتَ بِشِقِّ الصوابِ ، والحقُّ كلٌّ ؛ لا تلاعبتَ بالقوى ، فتجيشا .

الاعمى

ساعدُ المرء ، لو دريتِ ، هو الحــقّ ، وما الناس والسواعدُ مرضى ؟

اورب

قُل ، فما همَّ ما تقول على الغمــدِ ، واَمّا إن شِمتَ سيفاً فنُضّا .

الاعمى

ويكِ ، حدّي من مطمعٍ لم يرَ النــور ، ومن خفق أجنحٍ لم تهلّا ؛
وأرجعي في ركاب قدموس ، لا انتِ افتتحتِ العلى ، ولا هو ذَلّا .

وبخيرٌ تنــازلٌ عن حبيبٍ من لقاء القدموسِ حِمْلَ المحاملْ ،

بسخرية

وتقولون — يوم تهزج صيــدون ، ويمشي الى السفين الساحل ؛
وتموج الغصونُ من قمم المكمــل ، جذلى ، الى مطلّ الغروبِ — :
« هو هذا اليردُّها من إله . . . وهي هذي التسلُّه من نيوبِ . . . »

اورب

رادّةً على تعريضه باهلها

تصدياتُ الاكفّ لسن خفوقاً من فؤاد : يمضين هُنَّ ، ويبقى ؛
صفَّقتْ للطلاء كفٌّ ، ولم تخــفق ضلوعٌ إلّا لما كان حقًّا .

الاعمى

بُعدَ ما خلتني زعمتُ — ولا امَّلــتِ ، عبرَ البحار ، صيدونُ ، رفدا —
جلُّ قصدي أنْ ليت تصحين من زوشَ ، وقدموسُ من وغى فتجدا .

اورب

كشّر النصحُ عن نيوب !

الاعمى

تجنّيــتِ .

اورب

وما النصحُ لم يجلبْه حبُّ ؟
عضدًا جئتني ، فهضتَ جناحي ، دَعْكَ لا لي قوى ، ولا لكَ ربُّ !

الاعمى

قسمةٌ فأكتفي .

اورب

شعرتُ . تشبَّث ، ايها الُحلم ، بتَّ عند الشفير .

الاعمى

مغريًا اياها بالاستسلام لقدموس

دربُ قدموسَ من هنا .

اورب

دعكَ مني !

الاعمى

وقريباً يمرُّ .

اورب

يا أرضُ ، دوري !

المشهد الثاني

اورب ثم مرى

اورب

مُرّةٌ لفتتي الى النجدة الجوفاء ، والصدرُ بالفراغ يضيقُ ؛
انا مرميّةُ الطريق بكتني لبكائي ، وما هَدَتْني الطريقُ .
بين قدموسَ ، سيفِ صيدون ، والغربيّ ، واقيّ طعنةَ الخالداتِ ،
مهجتي ، إن نُسبتُ عرقاً ، وزندُ الباسط النجم والسهى لالتفاتي .
يا أسمَهين لوحا ، فأذلّا في سماواتها عُلى عنفواني .
مَن يُصِبْني أقُلْ له عند قبري : «لِمَ ، يا سهم ، انت ! دون الثاني ! ؟»

ما لعينيَّ غامتـا ، ولقلبي أثقلتْـهُ مرارةٌ فتـداعى ،
وتراخت يدي تَلمَّسُ لحنـاً كنتُهُ في المدى ، فالفَتْهُ ضاعا ؛
وتهاويتُ جـذْلةً للقـائي هذه الارضَ ، عند وقعيَ ارضا ،
مِنَّةً يا دقائقاً لم تزل تسبـح حولي ، لا تنهبي الدهر ركضا .

تدخل مرى

عبثٌ ردُّه !

مرى

عَلِمتُ .

اورب

انـاةً لم يَزَلْ أن اراهُ .

مرى

انتِ ! ؟

اورب

ونحيا .

مرى

وتعودان ! ؟

اورب

بحسرة

ما عطفتُ الهـاً فوق زندي !

مرى

ولا هو أحتلَّ دنيا !

رأيكِ الرأيُ ام ركنتِ الى آخر ؟

اورب

لم استمع لآخرَ، عمري .

مرى

ايُّ سمٍّ !

اورب

نفثتُه، انا وحدي .

مرى

لستِ صلًّا !

اورب

بُدّلتُهُ اليومَ .

مرى

كالما درت ان الاعمى هو الذي اقنعها

ادري .

اورب

لا تقصِّيتني عزمتُ فلا ارجــع .

مرى

لا قلتِ .

اورب

او تكوني الرسولا .

مرى

انا ! ؟

اورب

تستحلفينــه بلِيــانٍ طابَ طعماً على فمَينا ، وسُولا ؟

بليالٍ سهرتها لم تبالي طاولت أم دجت ، اذا نحن كنّا ؛
بيدٍ إن تضمّ تورِدهُ عمرًا ؛ وبقلبٍ ان يُعطِ يسكنْهُ ظنّا ؛
باغانٍ عندلتِها عند مَهدَينا ، فقاما على جناح اليام ؛
أنْ دعِ الضربة الغبيّة ، قدمسُ ، فما كنتَ خنجرًا في الظلام ·
انتِ انتِ الوحيدةُ الوقعِ في قدموسَ !

مري

رفقاً ! انوءُ بالعبء حملا ·
اطلبي العمرَ أمتهنْه على رجليكِ ، لا تطلبي اليّ الذلّا ·
انا علّمتُه التمرّسَ بالمجدِ ، وألقيا الفرسان صدرًا لصدر ،
ومحطّ العيون فوقُ ، ودَرْءَ السيل يهوي بالرّاسياتِ ويَذري ،
وابتدارَ الجُلّى باسبقَ من جُلّى كأنْ عوجلَ القضاءُ بردٍّ ،
واقتحاماً يموت لم يلتفتْ ظهرًا ، ولا حُدّ في الممات ، بجدٍّ ·
أتريني ، اوربُ ، انقض قولي ؟

اورب

ودموعي هذي ؟ وخَمْشُ الخدودِ ؟
وابتآسُ الغيمات والموجِ والشطآنِ في مدّ طرفيَ المهدود ؟
أهي اشياء ؟ لا ، وأفديكِ ، من اشياء تشجى شجوي وتأسو جراحي ·
اذكريها يوماً ·

مري

كأنما لا تجد ما تقوله

أُحبُّكِ !

اورب

حقاً ؟ واذكريني على ضريحِ الصباحِ .
كان قصراً هذا الوجودُ ، فكيف انهار ، والعمر سائحٌ في فنائه ،
وهوى بالعليِّ من عمدٍ هيفاء راحت اشلاء خلف مسائه .
نوّحت حيث كان زقزقةُ الطائر ، ما آنست كامسٍ صحابا .
تنهر الثانياتِ ، كرّت على الارض ثقالًا ، أن لا تحرّي الترابا .
قبلاتٌ هنا ، وسكب دموعٍ ، وقدود ، هناك ، غنّت ليانا .
أيهذي الانقاضُ عجّلتِ بالحلم ، فهيلي من فوقه البيلسانا !

مري

رأفةً بي

اورب

وانتِ ! ؟

مري

أرأفُ من سهمك .

اورب

كانما شامت بارقة امل

ماذا ؟ رضيتِ ؟

مري

لم ارضَ بعدُ .

اورب

بعدُ ! ؟ يا طيبَ ما يهمُّ بوعدٍ ...

مري

لم أعِد ، لا .

اورب

... ومـا هنالكَ وعدُ ؟

مري

أَوَترضينَ لي بها، إن انا ارضى ؟

اورب

انا اخترتُ بين شرّين.

مري

كُفّي.

كلما رُحتِ تقنعيني، شعرتُ السمّ في بسمتي له، قبل كَفّي.

اورب

أَوَأولى من ان اروحَ انا القاه؟ ماذا ؟ وينطوي اليومان:
عهده هُهُنا، وعهدي بدنيا زوشَ، والصفوِ، والهوى، والاماني !
كان لا بُدّ من هناه يُضحّى ؛ فَلِمَ اثنانِ ؟ !

مري

تظلمين مرادي،
لم يَفتني أَنْ لو تراجع قدموسُ لكان السوادُ بعضَ سواد.
وبقينا : انتِ المليكةُ في زوش، وامّا انا...

اورب

كأنما تريد وقفها

مري !

مري

... فتخوُونَهْ ؛

زيّنتْ خفْضةَ الجنــاحِ لنسرٍ شكَّ في ملعبِ النجوم جبينه .

اورب

مَن ؟ مرى ، مَنْ سواكِ يرأف بي بعــدُ ؟

مرى

حنانيكِ لا !

اورب

مرى ، رحماكِ !

وكمن أملت اقناعها تروح تغريها بأن تدلها على الطريق التي سيسلكها قدموس

هذه دربُه ، وقبلَ بزوغ الصبــح .

مرى

سُمّرتِ ، دورةَ الافلاكِ !

البيوسى ، غــدًا اغاريدُ نصرٍ حول تتّينها ، وهزجُ نساء ،
وفتى الشرق موحَدٌ ، لا قدودٌ راقصاتٌ لسيفه المعطــاء .
أوَلن يستثيرَه ، يا ترى ، الشــوقُ ، ويهفو به الى صيدونِ ،
فيقول : « أصعــدي اليّ دفوفاً ومزاميرَ وأشهدي ليميني»؟
واذا بي القاه مقروحة الاجفــان ، ندّابةَ احرُ الجلامدْ !..
جُمّعت بي انا نسأوُكِ ، صيــدونُ ،غداة ابنُكِ استطاب الزغارد .

اورب

بيأس

انا ريحــانةُ الخريف شجاني نبأُ الغيب مُزّقت استــارُهْ ،
غديَ الزمهريرُ إن قلتُ ابقى ، وربيعٌ امسي يهدُّ اذّكارُه .
كان ايارُ وافترارِيَ في السَــوفِ ، ويأتي الآتي واحلاهُ فُضّا ،

لم يزل لي الّلاكِ ، يا صُفرَ اوراقٍ ، فطيبي كحلًا لعيني ، وغمْضا .
واغمريني ، فانت احنى على الارض ، وابقى من كلِّ رفٍّ وهلٍّ ،
ألعلى سؤلهمْ ، وما بكِ من فقــر ، فظلّي فريدةً دون سؤل .
بقيتْ خطوةٌ اليه ، وتُحكى قصةٌ من خرافــةٍ ومحال !
قيل : « كانت الهةٌ . » وانتهى القــول ! فيا طفلةً لهت بظلال !!

نافدة الصبر

ما لِقدموسَ لم يُطلْ ؟

مرى

كانما تستيقظ من غفلة

كِليه لي . رضيتُ التقاءه بدموعي .

اورب

كانما لا تصدق

أوَحقاً !

مرى

طيبي — فديتُكِ — نفساً واطمئني الى جريحِ ضلوعي .

تعانق اورب

اورب

قادمٌ من هناك .

مرى

طلعةُ قدمــوس !

قبل ان تخفّ إلى الكهوف التي سوف تختبئ فيها

اورب

تسلمتِ ، يا مرى ، آمالي ،
ليس إلا يــداك بعدُ تشــاءان ، فصبحٌ غدي ، ولا ، فليالِ ؛

وأحذري لا يخُنْكِ لفظٌ كحدِّ السيـف يفري ، او كالتَعِلّات يُغري ،
ان يَفُتْ قولَكِ النفاذُ اليه ، فانا ههنـا لافضحَ أَمري ،
وتكونينَ انتِ سلّمتِي

مرى

ربي !

اورب

وتحيَيْنَ من يديك بشـانِ !
كلّما همّتـا تراءى لكِ الاثمُ ، فاجفلتِ منهما تلحقانِ!!
تلجأ الى احد الكهوف

المشهد الثالث

أورب (مختبئة) . مرى ، ثم قدموس

مرى

رأفةً بي ! وهمّتِي جلمَد القـاع ، ولي — مَن مصدّقي ؟ — بعضُ قلبي
يصدم الصخرَ في الليالي فيرنو قائلاً : «هل أصبتُ صخرًا بكربِ ؟»
ذدتُ عن ركبنا الى الشمس بالغضبـة جاشت في صدريَ المكلوم ،
لستُ فيهم ، فهل اقلُّ من الايمـان بالفاتحين ارضَ النجوم ؟ !
هو قدموس ! ما اقول لقدمـوس ! ؟ وهل في الوجود غيرُ الحقيقه ؟
شيمةُ النـبرَة العليّة في اهـلي ، وفي تلكمُ الجبال الطليقه ،
طوّقونا بها قلائدَ حُسنٍ ، وزهونا بها على كل شاهِقْ ،
ربِ ان خنتُها فلا خَفقَت نـارٌ بصدري ، ولا نعمتُ ببارق !

ويحَ اوربَّ ! ما ارادَتْ وما نالــتْ ؟ خداعاً مني لنفسي العليَّه !
وكلاماً ينمّق الزورَ في عيني ويودي بالمَكرُماتِ السَريَّه!!
لِمَ ، يا قولُ ، ما عييتَ عن القــول؟ ولارحتَ شيمة الصخر شهما !
شرفُ الصخر ! أنه القبرُ لا ينطــقُ ، حين القولان تجوابُ اعمى .
ما الحياةُ ؟ أنتباهةٌ من فتّى سكــران ، عارٍ ، مشوّهِ القسَماتِ ،
وقَعَتْ عينُه على حالهِ ، فانهــال شتماً على الصباح الآتي ،
ثملًا؟ كان . والــذي يلطم الآن جبينــاً كمن يحطّم آنَهْ ،
ليس في سكرةٍ ولا في خبالٍ : بشرٌ مجَّ للبِــلى انسانَه !

يدخل قدموس فيصدمها انه يتقلّد سلاحاً

أَسِلاحٌ ، قدموسُ ، والخصمُ أفعى ؟ !

قدموس

معرّضاً بها هي وقد تواطأت مع أخته على الهرب

عدتُ اخشى ، مرى ، نيوبَ الافاعي !

مرى

لنفسها

ربِّ !

لقدموس

والعهدُ بالنزول الى الساحــاتِ كالحقّ ، اعزلًا ، والشجاعِ ؟

قدموس

كان .

مرى

من ذا يقولها ؟ انتَ قدمــوسُ !

قدموس

وعمَّن أخذتُ نقضَ العهودِ ! ?

أَقصِري ! فيمَ جئتِ ?

مرى

اسألُ حقَّ العبد — فارأفْ به — على المعبود .

ما انا مَن تروغ ، او ترتضي الزورَ : انا جئت اطلبُ المستحيلا ،

انا ادري أَن ليس يُعطى ، وإن تجعله صيدونُ سؤلَها المأمولا ،

مطلبٌ ذلَّ مجتديه ومعطيه ، وجرحٌ لخاطرٍ يستعيدُهْ ،

ولَها تحطٌّ مني فأدري ما لبانٌ أرضعتُه — فاريدُه .

قدموس

تطلبين انكفاء صيدون ? !

مرى

لم تسبرْ مرادي .

قدموس

لخيرِ مَنْ تعملينا ?

مرى

إسمعي ، يا طويَّتي ، ظنني خنتُ .وقدموسَ ، ما خفضتُ جبينا ،

وبلادي — انا ! ثراها هو الكحل ?

قدموس

كانما يخاطب نفسه

لها نبرةُ البريء أُصيبا !

لمرى وقد عاوده اهتياجه

ويثيرُ الضميرَ ما طلبتْ منّي! تمزّقتَ، يا قناعاً كذوبا،
حسبُنا رشفة من الكأس؛ هل السفيتَ في الكأس غيرَ سمّ ناقعْ؟
ربّ افعى كسوتَها ثمن الخبز حريرًا، وبات طفلُكَ جائع!

مرى

متجالدة

اعطِني، ربِّ، أنْ أغالبَ صوتَ الدمع صبرًا، وإن انا اشتقتُ دمعا،
فبكاءٌ ويكفهرُّ صفاءُ العيش اندى من المناآت وقعا.
اختنقي مِن اسالكِ، يا عبراتي!

لقدموس

هل يقولُ الماضي لقدموسَ شيئاً؟
ما انا اليوم في الوجود، انا في الامس: لبنانُ في مدى عينيّاً،
ذاكَ قدموسُ دارجاً عند بابي، وذراعاه مُدّتا لعناقِ؛
من رأى يا ترى؟ أمَن تسهر الليل عليه ام... رمّةً من نفاقِ!؟

قدموس

لا، وتُفدّين، لا تقولي! تهاوى كلُّ ما بي من شاهقٍ تيّاه،
وبكاني الطفلُ القديمُ.

مرى

تجنّيتَ، رضيعي، وسيّدي، وإلهي.

قدموس

مَن تُراني مرجّحاً حين أختارُ: مِرى الشُهبِ ام مِرى الاوحالِ؟
صفحةً تعبق الكرامة منها ام صراطاً يجري وراء الضلال؟

مري

لم تزل واجدًا عليها ؛ ويبكي لأساها ، لو ينطق ، الجلمودُ ؛
غدُها . . .

قدموس

ما يهمّ إنْ غـدُها أنهـارَ ، وتبقى هذي النجوم السودُ !

مري

أنجومٌ من بعد اوربّ !

قدموس

مَنْ اوربُ ؟ ماتت مُذ وَدَّعتْ لبنانا !

مري

لم تودّعْ لبنانَ ، لبنانُ رفقٌ ؛ نحن ، أنّى كنا ، رَفِقْنا ؛ فكانا .
دعْكَ لا تحفلِ الحفيظةَ ، قدمـوس ، ولا تجتدِ السلاحَ البوارا .
يعدلُ الحكمُ حين يصلح اهـلوهُ ، فما هم ضغينـةً وآثارا .

قدموس

انتِ ؟ ما انت والتبجّحَ بالعـدل؟ تُرى العدلُ عاد دُميةَ لاعبْ ،
لفظةً في فم الاثيم ؛ الا يخجـل أعمىً يرنو الى الشمس كاذب؟!
كان لي بعضُ رحمة فاستحالت مذ نكأتِ الجراح حقدًا وثارا ،
واخـال الهوى توحّشَ في صـدري ، فانشبتُ بالهوى اظفارا .

مري

لنفسها

ربِّ أمسك بها ! فلا لقيتْه وحشَ غابِ .

قدموس

عهدي بقدموسَ أعلى.

قدموس

إثمُ اوربَّ حطَّنا من علانا وكسا أرضنا، على الدهر ذلّا!

تظهر اوربا من مخبئها نافذة الصبر على رزانة

مرى

ربِّ لا تسمعِ المليكةُ!

اورب

مُلكٌ!؟ ماءُ وجهي أعزُّ عندي وأبقى،

اغمدِ السيف في فؤاديَ يقطرْ شرفاً عندما يُسلُّ، وخُلقا!

قدموس

لا! وسيفي يعفُّ عن طعن أنثى.

اورب

أنَبا؟

قدموس

بل سخا.

اورب

رددتُ السخاء!

لستُ اخشى، قدموسُ، سيفكَ فاضربْ؛ ما صباحٌ أهنتَه واضاء؟!

قدموس

وبلادٌ هجرتِها!

أورب

دعك منّا. بين طيرٍ وعُشِّها اسبابُ،

كلُّ يومٍ لها طوافٌ بدنيا ، والطوافُ الأشهى اليها الايابُ !
انا اوربُ ، عُدْ باوربَ ، قدمـــوسُ ، ولا يقْتَتِلْ بيَ الوطنانِ .

قدموس

انطقي بأسم واحدٍ .

أورب

لا . وهذا وطني بالهوى ، وذاكَ غاني .

قدموس

لستِ منا !

أورب

رحماكَ !

قدموس

رحماً لمن كــادت لأهلٍ صِيدٍ وباعت بلادا ؟

أورب

ضقتمُ بي ؟ ! ورحمةٌ من بلادي تَسَع الارضَ حيَّها والجمادا !

قدموس

ابلادٌ عُقَّت وظلّت على العهــد ! ؟

أورب

بلادي انا ، ولبنانُ عهدُ !
ليس ارزًا ، ولا جبالًا ، وماء ؛ وطني الحبُّ ، ليس في الحب حِقدُ .
وهو نورٌ فلا يضلّ : فــكَدٌّ ، ويَدٌ تبدع الجمالَ ، وعقــلُ ،
لا تقل : « امّتي » ، وتسطو بدنيا ؛ نحن جارٌ للعالمين واهـــلُ !

قدموس

عبثٌ لا اعودُ او اقهرَ الغــربيَّ .

أورب

لا لا تضلَّ .

قدموس

اهوى الضلالا !

أورب

بِمَ تفوّهتَ ، يا اخي ! ؟ عُقَّ صيــدونَ ، وغَيِّضْ انهارَها والجبالا ،
واشربِ الخمرَ في جماجم اهليــها ، ودُسْ تاجَها ، وذُلَّ السريا ،
وأزرعِ الملحَ حيث ماتت فما تحيــا ، ولا تذكرِ الضلالَ فخورا !

قدموس

وبِمَ الفخرُ ، بعدَ اوربَّ ؟

اورب

بالرحمــة سطَّرتَها سخيًّا شفيقــا ،
تأخذ العــالمين بالحبّ والرفــق ، وبالهدْيِ ، إن يضلّوا الطريقا .

قدموس

ايَّ عِرق في الغرب ينبض بالرفــق ، فيُجزى الجزاء حُباً بحبٍ ؟ !

اورب

ايَّ صيدونيٍّ تربَّى على البغــض ، فيحيا للثأر ضرباً لضرب ؟ !

قدموس

علَّمونا ، فسوف نضرب بعد اليـــوم .

اورب

عارٌ ما قُلتَ ، قدموسُ ، عارُ .

قل : « بلِ الخيرُ أن نعلّمهم نحـن ، فما علّم البنـاءَ الدمارُ»

المقاتلة الاغارقة

من الداخل

طابَ طابَ القتالْ !
واغتدى الليلُ قصيرَ الاجلْ ،
ضُحِّ ، يا فجرُ ، وقلْ للازل :
نجمُ صيدون مال !

ما لهـا تُطرقُ ،
مذ جرى الغربيُّ ، هذي الجبالْ ؟
وامّحى عن جانبيه المجال !
وامّحى المشـرقُ !

نحن ، يا شرقُ ، لا
ننثني ، او نقهرَ المركبا ؛
غُلِّ بحرًا ، وافتتحْ كوكبا ،
تبقَ دون العلى !

قدموس

واجبي .

اورب

لا ، وتربِ صيدون ، لا تحـفِلْ .

قدموس

بلى واجبي دعاء.

اورب

لا تَسَرَّعِ !

وأتشدْ عندما تردُّ ذراعاً ؛ رُبَّ قلبٍ خلفَ الذراع تقطَّعْ.

عُدْ بنا ، يا اخي ، فها انا أُرجعتُ.

قدموس

معاذَ العلى الرجوعُ بمرأهْ ،

والنزاعُ أغتدى نزاعاً على الدنيا ، وحُكّت بجرأتي كُلُّ جرأه !

هم ارادوهُ دامياً ، فليَكُنْ أدمى ، ويفصلْ على كرور الزمانِ ،

بين سيفِ أَهلِ أعتداء وسيفٍ هادمٍ حدُّه ، وبالهدم بانٍ.

ستار

الفصل الثالث

المشهد الاول

مرى وحدها

لا ، ولبنانَ ، ما تَمتّني جبالٌ كرُمتْ فازدرتْ من الناس لَوما ؛
لا ، ولا عزمةٌ بمجذاف طفلٍ حالِمٍ كيف يُلجمُ البحرَ يوما ؛
عندما رحتُ استطيل الى التنّـين ابصارَ رعدةٍ واهتيـاجٍ ،
وانا في الشعاب من بطن وادٍ هوّمت فيه ريبـةٌ فَهْوَ داجٍ ،
لم اكن شمتُـه فأعتـادَ مرآه ، ويا هولَ ما تصدّى لراءٍ !
ذلك الغربُ يستحيل الى وحـش ، ويغوى بالمخلب المِعطاء .
خفتُه — عفوَ ردن قدموس ! — يهوي فوق قدموس، ضافيَ الجسم ، طَوْدا ،
ساحقاً ، ماحقاً ، يكاد حضيض الارض يخشى له ، اذا مرّ ، عَودا .
ما دهاء الرجال ؟ ما غضبةُ المِتنـاف ؟ بالٌ معطَّـلٌ مسحورُ ،
ايها الغرب ، هاتِ ما ليس بالضخـم - كبيرٍ ؟ بالعقل انت كبيرُ !
ربما رُحتَ تقهر الأمّةَ الحفنَـةَ أرضـاً ، والعبقريّةَ أُفقـا ،
فأخشَها ، عهدَ قولُها القولُ ، هبّـت تتقاضاك ، ايها الغربُ ، حقّا !

يشتد تشاؤمها

لم اخف ، لا ! وريبةٌ خامرتني انا جسّمتُهـا فَحرّتْ ضلوعي .

ولِمَ الليلُ في شعاعة عيني ؟ وعلامَ الجفَافُ طَيٌّ ربيعي ؟
من أسرٍ احتالةَ الخسف في روعـــي وقالَ: « أنتهى غدًا ، قدموسُ » .
توأمُ العزم ، حاملُ الشرر الاول يهوي ، وفي الوجود شموسُ ؟ !
سوف نبقى ! يشاء ام لا يشاء الغـــيرُ ؛ فاصمُدْ ، لبنان ، ما بك وَهنُ !
سوف نبقى ! لا بدَّ في الارض من حـــقٍ ، وما من حقٍ ولم نبقَ نحن !

المشهد الثاني

مرَى ، أورب

اورب

بتقريع

إطمئني بالّا ، مِرى ، اشتبكَ القِرنـــانِ .

مِرى

رحماكِ ، لا تريشي السهاما !

أورب

انا ؟ مَن لي بها فارسلَها تفتــتْ من مهجتي دماً وعِظاما !
رمقته عيني ، فيا بؤس عيني ! يقحم الموتَ ، عهدَه ، وهوَ قانصُ ،
يضحك الضحكةَ المُرنَّة كالسهـــم ، ويجري كرعدةٍ في الفرائص .
حمَّلَ الريحَ وقعَه فظننتُ الشـــطَّ يُصغي ، والبحرَ يعروه هَمْدُ ،
والصباح المسفوحَ في جَمَمِ الامــــواج يعلو ، كمن اطلَّ ، ويشدو .
داس ضَرْعَ الاغريق قدموسُ ثبتاً ، عبقريَّ الهمّاتِ ، طَلْقَ المُرادِ ،
لم يَزِنْ خصْمَهُ ، ولم يزِنِ الساحـــةَ ، كالطود لم تخِفْـــه عوادِ .

ومشى، مسحةَ السنى، هل نضا سيفـاً؟ وهل سلَّ خنجرًا من حزامه؟
لا، وروعُ التنين يغـلي وعَيْنـاهُ مهاوٍ مِن القِلى ومهامِهْ،
يتمطّى تهيّؤَ الحـامل الضاري ويلتفُّ طيّعَ الجسم، ضامِرْ،
يضرب الارضَ بالجَناح وبالذيـل، كمن يقحم المُحالَ مكابر.
قال قدموسُ: «ها انا!» واحتواه بذراعيه.

ميري

أكلمي، ضاق صدري!

اورب

لم اشأ أن احطَّ في الأَوجَع الطـرفَ، فروحي أشهديهما، عند قبري!

المشهد الثالث

أورب وحدها

نوّتِ، نفسي، بالعبء، فاعتمدي الارضَ، امـا هزّنا اليها الحنينُ؟
وأنتحي مطرحاً من الصخر خَشناً؛ ربّ صخرٍ، عند الشكاةِ، يلينُ.
ربِّ، ما نفحةُ السعادة في الارض؟ ضحىً خاطفٌ يزور النياما؛
حظُّهم منـه مطمعٌ بالتلاقي، فان استيقظوا غدا احلاما.
انا خلتُ الحيـاةَ مَـدَّ ذراعـينِ اليها، ورَشْفَ ثغرٍ جميلٍ،
واكتحالًا بالصَحْو والأمل الطَلْـق، ومرّاً في خاطر المستحيل.
ضجعةً فوق اضلعٍ واجداتٍ، وقياماً عـلى سنًى وأريجٍ،
ضاحكاً وجهُهـا لِبحبوحة العمـر، على رنّتينِ من دملوجي.

فتبدّتْ جوفاءَ كالقبر ، إلّا من مخيف الاطياف والاشباحِ ،
هَلّةٌ خفقُها دَمُ الأَجْنُح البيض ، ونفحٌ ريّاه موتُ الاقاحي .
ليتَني رحتُ لم أضق بها ذرعاً ، وحُمِلتُني كورَ ثوانٍ ،
أشهدُ السُمَّ كيف جوَّده اثنانِ لكأسٍ هما بها ثملانِ .
من مُحِطٌ الزمان عن عرشه الغفلِ ، ومستصرخٌ ، من الغد أنّه ،
علّني أفجأ الغيوبَ سلاماً قبلما تغتدي ظُبَى وأسنّه .
ايها الانتظارُ يا صفحةَ مِ العمرِ حبلى بكلّ ما ليس يُقرا ،
خلتُها صخرةً على الآنِ شدّته الى بعضه ، فسُمّرَ دهرا !

المشهد الرابع

اورب ، الاعمى

الاعمى

سَلّ سيفاً قدموسُ ما حدّه حدٌّ ، وحاميكِ مثخَنٌ بالجراحِ .

أورب

لا تَخَفْ أن تقول : «مات» ! ولم يبقَ لعينيّ مطمعٌ بصباح !

الاعمى

لم يمُتْ فأنجديهِ !

أورب

ويحَكَ ! ماذا ؟ أَوَ أغدو في ظهر قدموسَ خنجرْ ؟ !

الاعمى

بل تذودينَ عن حياتِك ، اوربُ ، اذا ذدتِ عن دمٍ راح يُهدر .

أورب

فيمَ تُغري يـدي بسفك دماء وانا رحتُ من يدي اتبرّا ؟
يوم دَلّت على البسيطةِ قدمــوسَ وخلّت، أنّى تنهدتُ، ذكرى.

الاعمى

ايُّ ذكرى وما وفيتِ بعهدِ !

أورب

لحبيبٍ !

الاعمى

لا بل لحامي حماك .

اورب

يا لوحشٍ يبغي انتصارًا لوحشٍ !

الاعمى

بل حِفاظًا على كَذابِ هواكِ .

أورب

يتفجع وحسرة

هكذا ، يا هواي ، لوّحتَ تغريــني بعمرٍ أُغنيّةِ الأدهـارِ !
لم تــكُنهُ إلّا لتسترَ عيبـاً هو ظفرٌ ، ولا كظفر الضواري .

الاعمى

مَن ترى أشعل الوغى ؟

أورب

هَبهُ قدمــوسَ ، أأقضي انا على قدموسا !
أأخٌ قاتــلٌ اخــاً ويُرى النــور ؟ الا دُمت ، يا دجى ، لي انيسا !

وتمزّقتِ ، قبل ان طبتِ في ثغــرَينِ ، يا قبلةَ الغرام الشهيدِ ؛
للجفــون المقرّحــات ، ستبقــين، وللدمعِ حافرًا في الخدودِ .

الاعمى

لو تصــبّرتِ وسْعَ بؤسكِ ، فــالاقدار عُمْيٌ، تحبو وتمنعُ .

اورب

تحبو !

يُقرأ الفجرُ من غيوم العشــايا .

الاعمى

ويُلاقى ، قبل الهناء ، الصَعْبُ .

أورب

فليكن ما يكون ! أحياكِ ام لا ، يا حياتي ، فمــا أنا لِأُبالي .

الاعمى

أنتِ ، أوربُ ، تكفرين بنعمى ؟ انتِ ، يا نجمةَ تمرُّ ببــالِ .
ايها الحسنُ سَكَبَ مَن سَكَبِ الشمــس، وقال : «ازدهي على كل حسنٍ .
وأحلبي حبّة القلوبِ ، وضُجّي ، في تثنيك ، بينَ ريفٍ وجفنٍ .
انتِ للتاج ، للتحرّش بالاولمــب ، للعزف طار بالاوتارِ ،
ولارض جاءت الى الكون، مذ جئــتِ على سجعةٍ من الاطيار » .
أوأشهى من الحياة ؟ !

أورب

بلى، اعمــى البيوسى، أن يُزدرى بالحياةِ !
يومَ تغدو نصيبَ حُرٍّ بريءٍ حمّلوه للغدر سيفَ الجُناةِ .

الاعمى

مَن سواكِ الاثيم؟ تحيَينَ حُلماً يتخطَّى الدنى، ونحن نقاسي!

أورب

ما غَوَتْني العروشُ يوماً ولا السـؤدُدُ: أحبَبْتُ فاستثرتُ الرواسي.

الاعمى

أقصري! كلُّ ثانيـاتك معـدودٌ، ودنياكِ خطفَةٌ في الزمان.
لكِ ام لا رأيٌ! فقرّي على رأيٍ؛ ولاتِ البلوغ بعد التواني!

اورب

ويكَ ماذا تريد؟

الاعمى

حجبَ دماء.

اورب

كيف؟

الاعمى

ردّي عنّا الكميَّ العنيدا.

أورب

هو يأبى.

الاعمى

دوسي الابيَّ، أقتليه.

أورب

هو قَدموس!

الاعمى

لا تقيمي حـدودا.

المشهد الخامس

اورب ، الاعمى ، مرى

مِرى

وقد سمعت قولَ الاعمى

أَلقميـه الجوابَ سيفاً رهيفـاً .

الاعمى

كأنما يبرر مطلبه

صرعَ الوحشَ وحشُ صيدون جُبنا !

مِرى

لا ! وكانَ الخصمَ الشريفَ فَعالا ؛ راحَ يأسو جرحَ الجريح ، ويُعنى ،
وكَمَنْ بُـكِّتَ انتحى ؛ قلت أَسيـانَ ؛ وقلت احترامَ ندٍّ لندِّ .
وتمنى لو ينهضُ الجبـلُ الموتـور يحبوه بالجوابِ الأشـدِّ .
كاد يرضى بالنصر ، لولا هتافٌ خِلتَه الدهرَ صُدَّ عند الشفيرِ :
« يا ابن صيدونَ، طِرْ وأَنجِز عليه ، انتَ ،وازرعْ اضراسَهُ في الصخورِ
تُنبِت الارضُ ماردينَ عُلىً يبنـون ثيبا اعجوبـةَ الأَجيال .
هيَ أُولى حواضر مثقٍ تُبـنى على اسمِ القدامسِ الابطال .»
همَّ لولا أَنْ عاودَ الخصمَ عزمٌ ، وكمن هِجتَ اصبعاً في جراحهْ ،
سَلَّ من ضعفهِ قوى ، وأَتى قدمـوسَ في جَهْمِ ثأرِهِ ووقاحه .
رَدَّ قدموسُ عن سخطاً .

اورب

اوأَرداه ؟ !

مِيرى

تشكّين ؟ شمتُه أستلّ عضبا .

ما استطابَتْ عيني التفاتاً الى القتـل ، وعفتُ التقاءَ حاميكِ كُبّا .

الاعمى

أَوَلم تشهديه يسقط ؟

اورب

ما هَمّ ؟ ويكفي أَن سَلّ قدموسُ سيفا .

الاعمى

كأنما لا يزال يؤمّل ان يكون الوحش على قيد الحياة .

ربّما . . . فانهدي .

مِيرى

الى اين اوربُ ؟

اورب

الى حيثُ يعدلُ الحيفُ حيفا .

مِيرى

أإلى زوش ! ؟

أورب

إيْ وقدموسَ ، أرتـدُّ بسيف العُلى على قدموسا !

الاعمى

لنفسه

فَعَـلَ السُمُّ فِعلَه فالى السـاح .

المشهد السادس

مرى وحدها

تضلّانِ ؛ والذي ضلَّ ديسا !

تصلي

ربِّ ، رُدَّ القوى تألّبنَ يضربنَ ، وجُدْ لاتَ ما خلاكَ يجودُ !
ربِّ ، جلّت عيناكَ لا تعرفُ القبضَ ، فمَن مِن نداكَ لا يستزيدُ .
كلّما غبّتِ الحساسينُ من ماء ، رنَت حلوةَ اليكَ بشكرِ .
وتعالت اليك ، في ضجّة الصبحِ ، صلاةٌ من زقزقاتٍ وزهرِ .
جُمّعتْ ، ربّيَ ، الخليقةُ في صوتي تناجي ، وسبّحت تتغنّى ،
وتملّت ، في رفعة الرأسِ والطرف ، جُثوّا من ركبتينِ ووَهنا .
وانا استجيرُ بالرحمة الكبرى ، بنورِ الأنوار ، بالينبوعِ ،
أن تقبّلْ ربّي قرابينَ حبٍّ ، ورجاء ، وذلّةٍ ، ودموعِ .
أعطِنا ، قبل كل جدوى ونعمى ، أن نحطَّ التفاتةً في سناكا ،
كلُّ ما دون وجهك الجَمّ وهمٌ : أعطِنا ، ربِّ ، أعطِنا ان نراكا !
وترأفْ ، يا ايها البحرُ ما حُدَّ بجذرٍ ، باللائذِ المحتاجِ ،
وأنصُر القابسين من فَيضِك الحقَ الى الكوكب الضلول الداجي .
لألأت كلُّ هضبةٍ فوقَ لبنانَ تصلي ، وهامَ كلُّ فضاء ،
وتسامى مجامرًا جَبَلُ الاطياب ، فافتَحْ ، يا ربِّ ، باب السماء !

المشهد السابع

مري ، الاعمى

الاعمى

بِشرَ شعبِ الاغريق ! بشركِ ، اوربُ ، فقدموسُ بين حَيٍ ومَيتٍ .

مِري

كَذِبٌ .

الاعمى

لو رأيتِه جرَّ الخـزيَ جريحاً على الثرى ، لازدَريتِ !

مِري

كان دنيـا .

الاعمى

وذلّه الخصمُ ذلّا.

مِري

انا ابصرتُـه فرى كبرياءَه .

وتلقّاه ، حـذرةَ الردّ ، بالضربـةِ كبّت على الحضيض مضاءَه .

هاج يكسوهما العجاجُ ، فلم أبـصرْ سوى السيف صاعقاً كالضميرِ ،

والاساطير حول ضربته تولـد في الصخر ، في الربى ، في العصور .

أجفلَ الشطُّ ، اجفل الموج للسـاحة ترتجُّ بالبطولـة عَريا ؛

فتعير البحارَ خوفاً ، وتكسو الصَـمْتَ عمقاً ، وتُكسب الشمسَ جليا .

أنا احسستُ عند وَقع الجناحـين صراخاً من عالَمٍ في انهيارٍ ،

يتولّى محاولكاً في الدهاريـر ، ويفنى مولولاً في الدمار .
وعلى الانمُل السنيأتِ من قدمـوس بيضاءَ نجمـةٍ تتفتّحْ ،
صاعداً من عبيرها مثلُ صرحٍ يتعالى بينَ النجوم ويمرح .
افهذا ، اعمى البيوسى ، يُسام الخسفَ والذلَّ ؟ لا .

الاعمى

بلى ! وقضاء
حطَّ من كبريائهِ عند صخرٍ قابعٍ ، فهو والمنى اشلاء .
مَنْ معيني اصُبَّ في سمعك الوقعـةَ أبلى فيهـا القضاء سخياً .
قال: « ما كان للمكابر عزمٌ ! » وطواه على المذلّـة طياً .
انا ، مِنْ خيفتي ، حملتُ الى زوشَ صراخَ الصريع هولاً وطَوْلا ،
انا ارجفتُ حول قدموسَ أنبـاءَ اقشعرَّت لها الفرائصُ هولا ،
حرَّكتْ زوشَ رعدةٌ فَبَجَرَتْهُ غَضَباً مُتْرَعَ الجموح ، أصمّا ،
فغَلَتْ في يديـه صاعقةٌ شمطـاء ، مولودةٌ مع الدهر قِدْما .
ومشى في غمـامتَين الى قدمـوس ، يهوي بزعزعٍ إثرَ زعزعْ ،
شدَّد الوحشَ صوتَه ، فتملَّى من نيوبٍ في فكّه ليس تشبع ،
هبَّ يطوي العجاجَ في طلَب الثـأر .

ميرى

وقدموسُ !

الاعمى

في اتقاء الصواعق ،

لفتةٌ في اللظى ، وأخرى الى الخصم، ولا زَند، حين يضرب واثقْ .
ابدًا لا يقرّ عيناً ، وإلّا حطّمته من السماء شظيّهْ ،
ابدًا لا يكرّ كرّته الاولى ، وإلا التفتةُ نابٌ فتيّه .
فهوى .

ميري

لا تقلْ !

الاعمى

وجرّرَ جثماناً على الارض .

ميري

لا !

الاعمى

وعفّرَ حلما .

ميري

خلّني !

الاعمى

وانطوتْ على ليل عينيه امانيُّهُ البواسمُ جُمْها .
وتراءت له ، على البُعْدِ ، آمالٌ عراضٌ في كسفةٍ وأصفرارِ ،
وجهُ صيدونيا يَغيبُ ، وغاباتُ الصواري العُلى، وملْكُ البحارِ ؛
ورأى مخلباً . . .

ميري

حنانَكَ ! يكفيني .

الاعمى

ونابا ٠٠٠

مرى

دعني !

الاعمى

وعينا ٠٠٠

مرى

أَقِلّا !

الاعمى

ورأى رغوةَ اللعاب على الفكّين .

مرى

هاربة

لا ! لا ! !

الاعمى

رأى القضاءَ مُطلّا .

وانا ذاهلٌ على صخرتي ، أزهو كاعمىً في ثأرهِ غيرِ اعمى ؛
أُفحم الشمسَ في الضحى ، فاردُّ النصرَ كسْفاً وأُطلعُ العزَّ وهما ،
ريبةٌ بي ؟ ضلّلتِ ، مُرضعَ قدموسَ ، رجاء ، ضللتِ سهماً وقصدا .
فخذيها وقيعةً عصفتْ بالفتح يَئساً ، وبالجزائر جُرْدا .
انظري ، تلتقيه أضغاثَ حلمٍ ، نصرَ قدموس .

المشهد التاسع

الاعمى ، قدموس

قدموس

نصرُ قدموسَ دامِ !

الاعمى

ربِّ ! قدموسُ في الوجود ؟!

قدموس

وما هدَّته دُهْمُ الأهوال والآلام !

وقعةٌ كالكَذاب ! شِقٌّ من الغيب ، وشقٌّ من الليالي الدياجي ،

مستجمعا ذاكرته

كيف كانت ؟ بينا أنا تحت وَبْلٍ راجمٍ من صواعقٍ وعجاجٍ ،

عبثاً احتمي باشدقَ غورٍ ، عبثاً اتّقي باصلعَ صخرٍ ،

ونيوبٌ صفراء تلمع دوني في صريرٍ يحزُّ اعماقَ صدري ،

لوَّحت لي ، على البعيد ، يدٌ بيضاء تزهو بالأحمر الارجواني ،

ذكَّرتني اوربَّ ، عهدَ العذارى طافراتٌ على ربى لبنان ،

ايّ نعمى في وجهها ! لا سنى الاغريق بادٍ ، ولا جلالُ الغروب .

قدُّها شِلْحُ زنبقٍ وادعٍ عَفِرٍ ، وتخطو فالانس ملء الدروب .

طوَّقتني بالبِشر ، مذ ضحكت لي ، وَرَنَتْ صوبَ زوشَ تسأل رِفدا ،

كلّما مسّ طرفُها نارَ زوشٍ راحت النارُ ياسميناً ووردا .

فتنفَّستُ أجتدي عزمةً عادت على وابلٍ من الزهر نازلْ ،

ونفضتُ الغبارَ عنّي وأشرقْـتُ، فالفيتُني على الخصم حامل.
خلّني خلّني من الفخر.

الاعمى

ما مـات!

قدموس

بلى! راحَ في الرمالِ صريعا.

الاعمى

قُلتَ!

قدموس

مات الصباحُ في تينك العيـنينِ، واربدّ كلُّ أفقٍ وريعا،
وعلا هاتفٌ أنِ «اقتضّ من فكّيه، وأزرع اضراسه في الفلاةِ،
تُنبتِ الارض مَن يشيدون للقـدموس أُولى المدائن الخالدات».

الاعمى

هل أجبتَ الداعي؟!

قدموس

كانما يلوم نفسه

اجبتُ! وما انجـزت حتى لم يبقَ ظـلٌّ لرؤيا،
وتهـاوى الظلامُ حولي كثيفاً؛ خلتُ دنيا راحت تحطّم دنيا.
وعرا بسمتي خريفٌ من اللـون، وأحسستُ وحشةً في الصباحِ،
ايُّ جفنٍ يُغضي فيُلهب صدري! ايُّ جيدٍ يُلوي فيَبري جراحي!
وسرى الخوفُ فيَّ للمرّة الاولى! سرى؟ لا.

الاعمى

بلى، وكان نذيرا !

قدموس

بمَ أنذرتُ ؟ قُلْ

الاعمى

باوربُّ ، يا قدمـــوسُ .

قدموس

اختي ! . . .

الاعمى

تحيا الصباحَ الأخيرا !

قدموس

يفتديها . . .

الاعمى

مَن ؟ أيها الصارع العــزمَ يقيها أسنَّةَ الحــالداتِ .
إنتظرْهـــا امرٌ من شجوكَ اليـــوم، وأمضى من مخلب الحسَرات .

قدموس

آه ! أُختي .

الاعمى

ما أجملَ الآهَ سيفاً قاطعاً في يد الكميّ فِرِندا .
قُمْ الى سيفك الجديدِ، وأفحِمْ قدَرًا رحتَ تَردديه ، وَصُدًا .
« قدرٌ فوقنا » مقالةُ جبنٍ ؟ أرِني ، يا آبنَها ، وغى غيرَ جبنٍ ،
بطـلٌ ؟ كُنْـهُ في لِقاء المقاديـــر صباحاً ، أَوْ كُنْهُ طرفةَ جفن .

أختُك اليوم والمنيةُ . . .

قدموس

زورٌ .

الاعمى

زجرَ السيلُ ، وَهْيَ منهُ حصاةُ .
خُذ ، فتى البحر،خذ بناصرها ، فالـــريح هبّت عكساً وليس نجاةُ .

قدموس

ويدي ! ما يدي ؟

الاعمى

خيوطٌ من الوهـــم ، ووهمٌ من السراب نحيلُ ،
فأبـكِها .

قدموس

لا !

الاعمى

تقول : « لا » وعلى وجـــهِكَ جَهْشٌ من الأسى ، وعويلُ .

قدموس

انا !

الاعمى

اوهى من مرأةٍ ، في مراميـــكَ أزورارٌ ، وفي قواك خوارُ ،
واجفُ الجسم . . .

قدموس

لا ! وبأسيَ ، يا اعمـــى ، وزندي ؟

الاعمى

هشٌ ولونٌ مُعارُ .

طيفُ جسمٍ يكاد يَخلعُكَ اليومَ ويمشي عليكَ .

قدموس

لا .

الاعمى

ويدوسُ .

قدموس

انا أغنيَّةُ الرماح ، عِنانُ البحر . . .

الاعمى

امساً .

قدموس

امساً ؟ انا قدموسُ ،

تَوأَم العزم . . .

الاعمى

هاتِ من عزمك اليوم ، وحَوِّرْ في صفحة الأَقدارِ ،

خطاً في صبحك المريضِ ، ولو حرفاً ، وزحزحْ قلامَةً من غبار .

قدموس

جَهْمةٌ طلعةُ الصباح ، وخرساءُ التنادي في أَضلعي المُعولاتِ ؛

ويكاد الشعاعُ يلهبُ أعصابي ، ويَهْمي أَسنةً في شكاتي .

الالهات

من الداخل

— ما لَهُ الدمعَ طابْ !

— حسنُ أوربَّ طواهُ الردى .
— رُقَّ ، يا وردُ ، ونُحْ يا ندى :
« وجهُ صيدونَ غابْ »

المشهد التاسع

قدموس ، الاعمى ، مرى

قدموس

وقد رأى مرى تدخل عليه مذعورة ، مهدودة القوى .

وحدكِ اليوم؟! فيمَ صمتُك؟! ضجّي . أوَحقٌّ عويلُ هذا السكونِ ؟
أوَاغمضتِ انتِ عيناً عليها واختزنتِ البهاءَ طيَّ الجفون؟!
أوَشمتِ الذراعَ تهوي على الجسم ، وكانت إشارةً في الكمال؟!
شردتْ فاقتفيتُها ، فدفعتُ الصخرَ من غفلةٍ الى صحو بالِ ؛
أوَماتتْ عروسُ لبنان ؟! جوعي ، يا ترابا‌تِنا ، الى رَطْبِ ظلِّ ،
واهدئي ، يا غصونُ ، واصفَرَّ ، يا زهرُ ، فمَنْ بعدَها لحسنٍ ودَلِّ !

الاعمى

مُدَّ كفًّا الى الحقيقةِ ، يا فاتحُ ، والْمُسْ فما الحقيقةُ زورا .
تقحمُ الارضَ ، تقحم النجمةَ الاخرى ، وتبقى دون السماء صغيرا !

الالهات

من الداخل

سوف تبقى ، غدًا ،
للاولى يمضون لا يرجعونْ ،
— حدُّهم في السعي حدُّ المنون —

إصبعاً في المدى .

غنّنــا بأسمِها ،
واقعاً مَلَّ ، فكان الخيالْ .
مَن تَرُحْ تقرعُ بابَ المحال
وتَفُزْ ، يُدْرِهــا !

مرى

كالما تنمي اورب

غابت الشمس !

قدموس

ربّ !

مرى

وقد ظهرت رؤيا لمدينة تشاد مشيقة الاعمدة ، شاهقة القباب ، تُرصف حجارتها ، كما جاء في الاسطورة ، كلٌّ ردًّا على نَغَم ، ومداميكها كلٌّ إجابةً لإيقاع .

حدّقْ !

قدموس

وكالما تهلّل وجهه لأول مرّة

همُ صيــدون راحوا يبنون ابراجَ ثيبا ،
رفعوهــا أبهى من الفكرة العــذراء اغنيّــةً ، وامضى وثوبا !

البحّارة الصيادنة

من الداخل

غرّبي ، يا بحّــارْ ،
شُرَّدًا بالامــل الغضّ ،
وأغرسي ، في آخر الارض ،

كرمةٌ لي ودار .

الالهات

من الداخل

— ما لَهُ الدمعَ طاب !

— حسنُ اوربَّ طواه الردى !

— رُقَّ ، يا ورد ، ونُحْ ، يا ندى :

وجهُ صيدون غاب !

الاعمى

وقد ظهرت رؤيا اخرى ، قبالةً الاولى ، لإلهات ينتحبن حول قبرٍ من رخام عالي البيق .

قبرُ أوربَّ !

ميرى

ولم تنفكَّ شاخصةً الى الرؤيا الاولى

مُلكُ صيدونيا !

قدموس

محطماً يتأرجح بين المشهدين

قسمَتُنا من هدايةٍ وفتوحٍ :

نحملُ الارض ، إنْ نشأْ ، فوق كفَّين ؛ ونمضي كريشةٍ في الريحِ !

تمَّت

وُضعت في ضهور الشوير ، في آب ١٩٣٧

اعيد النظر فيها وزيدت في زحلة، في آذار ١٩٤٤

طُبع في «المطبعة الكاثوليكية»
بيروت ، لبنان .

